■ الفصل السادس

عـزة حجر في بركة ساكنة

«يفتقر معظم الإعلاميين المصريين، بل وحتى الإعلاميات إلى الوعي بقضية المرأة، وبخاصة تلك القضية التي تتقاذفها المتناقضات، أي إعمال مبدأ التمييز الإيجابي العمدي، حيث الروح النقدية من موقع العدل والمساواة في المادة الإعلامية، ويؤدي هذا الافتقار إلى قيام الإعلاميين والإعلاميات، لإعادة إنتاج القيم السلبية والمفاهيم البالية حول وضع المرأة ودورها». هذا ما قالته الكاتبة والناقدة المصرية فريدة النقاش في أحد كتبها[1] عندما تحدثت عن دور الإعلام في قضية المرأة.

تركز الكاتبة في الافتقار إلى الوعي بقضية المرأة على إعمال مبدأ التمييز الإيجابي، والذي وصفته بأنه قضية مليئة بالمتناقضات، تجدنا نتفق معها إلى حد كبير فيما ذهبت إليه باعتبار التمييز الإيجابي قد يصبح «سلاح ذو حدين» ويلعب دوراً سلبياً، بقدر ما يمكن أن يلعبه من إيجابيات، إذا لم يكن هنالك

(١) فريدة النقاش «حدائق النساء صفحة ٨٥».

obeikandl.com

وعي كامل بقضية المرأة، فيؤدي إعماله إلى ترسيخ مفاهيم الدونية تجاه المرأة لدى المحيطين بها، وهو ما عبرت عنه الكاتبة بأنه إعادة لإنتاج القيم السلبية والمفاهيم البالية حول وضع المرأة ودورها، كما تناولت الدور الذي يلعبه الإعلام المصري في بث ثقافة التمييز ضد المرأة عبر المسلسلات والبرامج وغيرها. إلاّ انه في الحالة السودانية نجد الوضع مختلفاً تماماً، فإذا ما استبعدنا الأجهزة الإعلامية الحكومية باعتبارها تفتقر إلى القومية وتعكس وجهة النظر الأصولية للحزب الذي يمسك بزمام السلطة، وكنا قد تناولنا الإعلام الناشط في مجال المعارضة، خاصة الفترة التي سبقت اتفاقيات السلام، ووضعنا تحت المجهر الإعلاميين والإعلاميات ذوي الصلة بالمعارضة التي يقف على رأسها التجمع الوطني الديمقراطي. فنجد أن إعمال مبدأ التميز الإيجابي في حد ذاته لا يمثل حضوراً بصرف النظر عن سلبياته أو إيجابياته، وظلت قضية المرأة نسياً منسياً في كل المراحل التي مرت بها، باستثناء المساهمات المقدرة التي قدمتها صحيفة الفجر في فترة صدورها، وكثيراً ما كان يلفت نظري شغف الإعلاميين والإعلاميات الذين كانوا يحضرون اجتماعات هيئة قيادة التجمع والذين كانوا يركزون جل اهتمامهم على صدور البيان الختامي، والذي قال عنه زميلهم فايز الشيخ بان لغته لم تتغير على مدار عشر سنوات، وقد استدللنا بقوله هذا في فصل سابق. وبقدر ما كان يلفت نظري هذا الشغف كان يدهشني كثيراً ألا يسترعي انتباه السادة الصحفيين وجود صيغة ديكورية لازمت معظم هذه البيانات، تعبر عن إيمان التجمع الوطني بقضية المرأة، وبأهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه بمشاركتها في قيادة التجمع الوطني. وغيرها من التعبيرات التي لا تغني ولا تثمن من جوع. في حين يذهب اجتماع ويجئ آخر وتتكرر العبارات دون أن تلفت انتباه السادة الصحفيين والصحفيات، وتمتلئ الصحف ومواقع الإنترنت بأخبار تلك الاجتماعات وبتفاصيلها المملة، ولا شك أن التجاهل الإعلامي لموقف التجمع من قضية المرأة ساهم في ترسيخ ذلك الموقف، وظل الصراع يدور داخل حلقة مغلقة في أروقة التجمع الوطني بين القائمين على أمره والتنظيمات النسوية وقياداتها، وفي التقدير ربما لو أن الإعلام المعارض حاول أن يلعب دوراً إيجابياً في هذه القضية، ولو بقليل من الضغط لربما كان الوضع أحسن مما كان.

وسط ركام هذا التجاهل الإعلامي لقضية المرأة ولدت دورية «عزة». فكانت بمثابة بقعة ضوء وسط تلك العتمة، رغم أن هذه وقائع من تاريخ ماثل ما يزال يرمي بظلاله على الحركة النسوية المعارضة، ومع ذلك لم تستطع حتى هذه اللحظة من تجميع

صفوفها، ولا شك أن الموقف أكثر صعوبة بعد أن تفرقت السبل بالمعارضة، وأصبح جزء منها في الحكومة، وآخر في المعارضة، وثالث لا هو في الحكومة ولا هو في المعارضة. وما ينطبق على هؤلاء ينطبق أيضاً على الحركة النسوية، باعتبار التنظيمات النسوية ظلت جزءاً من هذه الأحزاب طيلة الفترة المعنية ولم تستطع أن تبني لها جسماً مستقلاً كحركة متميزة ولها خصوصيتها، ولا أن تستعيد مجدها وماضيها الذي جعل للمرأة السودانية وضعاً مميزاً بين نساء العالم خلال فترة الستينيات والسبعينيات بفضل رائدات الحركة النسوية وتنظيماتها وعلى رأسها الاتحاد النسائي.

أطلّ العدد الأول من إصدارة عزة في أغسطس ١٩٩٩م بمساندة فعلية من إعلام قوات التحالف السودانية، الذي ظل طوال تلك الفترة (التي امتدت حتى ٢٠٠٣م) يفتح أبوابه للتجمع النسوي ولأسرة تحريرها، مما أسهم كثيراً في أن تستمر وتصمد، وعند العدد الأول لابد من وقفة تعكس مقولة أن مشوار الألف ميل يمكن أن يبدأ بأقل من خطوة، فقد صدر العدد الأول في ورقة واحدة من حجم الـ (A3) وفي أربع صفحات، بدت كأنها عدداً متكاملاً بما حوته من موضوعات متكاملة، فجاء في ثوب بديع، وضع تصميماته الكاتب المبدع أمير بابكر عبد الله، وقد احتوت الصفحة الأولى على كلمة العدد التي اختار لها أمير عنواناً «ولعزة كلمة» احتفظت به عزة في كل إصداراتها التي تلت.

كما احتوت على موضوع تحت عنوان «من برامج عزة» تناول الخطط والبرامج القادمة لتلك الفترة، وفي نهاية الصفحة وفي برواز ملفت للنظر وضع عنوان «دعوة عامة» قدم فيها التجمع النسوي دعوة عامة للسودانيين، والإرتريين والأجانب لزيارة جناحه في ساحة المعارض بأسمرا «الإكسبو» في مهرجان إرتريا السنوي لعام ١٩٩٩م وقد افتتح الرئيس إسياس أفورقي الجناح الخاص بالتجمع النسوي، وكان المعرض نفسه محاولة لعرض الفولكلور السوداني، كذلك احتوى على معروضات تعكس العادات والتقاليد السودانية، في الزواج وطقوس زينة المرأة وأدوات تعطيرها في بيت الزوجية. هذا بالإضافة للملصقات والصور الفوتوغرافية التي تعكس أبعاد القضية السودانية بشكل عام ونشاطات التجمع النسوي بالأراضي المحررة بشكل خاص، وقد حقق المعرض قبولاً واسعاً من السودانيين والأجانب على حد سواء.

احتوت الصفحة الثانية من إصدارة عزة على نبذة تاريخية عن تكوين التجمع النسوي، كما تناولت إنجازاته في ستة أشهر من تاريخ تأسيسه، وتواصل عرض تلك

المنجزات على الصفحة رقم (٣) والتي وضعت على نهايتها صورة لقيادات التجمع النسوي في زيارتهن للنساء المصابات بمستشفي كرن، جراء القصف الجوي لمنطقتي تلكوك وتهداي، الذي قام به طيران نظام الجبهة الإسلامية في يونيو ١٩٩٩ م.

في الصفحة الرابعة والأخيرة، عرضت أهداف التجمع النسوي كما وردت في نظامه الأساسي، وظهرت أعلى الصفحة صورة لعضوات المكتب التنفيذي مع بعض أعضاء هيئة قيادة التجمع الوطني أثناء اجتماعاتهم في يونيو ١٩٩٩ م، وهكذا كانت البداية. ثم قفزت الإصدارة قفزة كبيرة وظهر العدد الثاني في عشرين صفحة، وفيه أبواب ثابتة استمرت حتى آخر عدد صدر منها مثل «تنمية المرأة، المرأة في المواثيق الدولية، لقاء العدد، حوارات عزة، نافذة على إرتريا، صيدلية حبوبة، رسالة الأراضي المحررة، من هنا وهناك، وبيانات وتقارير».

حظيت عزة في أعدادها الأولى بنخبة فاعلة وأسرة تحرير مبدعة ومتمكنة، برئاسة أمينة الإعلام والناطق الرسمي باسم التجمع النسوي وداد صديق محمد الأمين، إلى جانب أفكار نادية مصطفي أحمد التي كان لها دور كبير في أن تحتل «عزة» في فترة وجيزة مكانة إعلامية مرموقة بين فعاليات التجمع الوطني، وهذه المكانة أسهمت كثيراً في أن تدفع بقيادات التجمع الوطني للتجاوب مع كل الدعوات التي قدمت لهم من قبل أسرة التحرير للمشاركة في تفعيل الإصدارة بشتى الوسائل والسبل.

عزة وقضية الوطن

بالرغم من أنها منبر نسوي يعبر عن قضايا المرأة وتطلعاتها السياسية والاجتماعية وغيرها، إلاّ أن عزة لم تحصر نفسها في تلك القضايا. ولم تتقوقع في جوف (تاء) التانيث أو دائرة (التاء) المربوطة للمؤنث، ولم تمارس لطم الخدود وشق الجيوب، لسياسات التجمع الوطني تجاه المرأة، بل ظلت عزة إصدارة وطنية تعبر عن قضايا وتطلعات الوطن، وبالطبع المرأة كحالة خاصة وجزء من قضايا الوطن. ولسان حالها يقول ما قاله الشاعر نزار قباني:

«كلما غنيت باسم المرأة...

أسقطوا قوميتي عني وقالوا:

كيف لا تكتب شعراً للوطن؟

فهل المرأة شيء آخر غير الوطن؟

آه.. لو يدرك من يقرأني....

إن ما أكتبه في الحب.. مكتوب لتحرير الوطن..»

تبنّت عزة طرح وعرض سياسات التجمع الوطني الديمقراطي، وكانت فاعلة في ذلك لغياب الصحف والإصدارات الخاصة به، وبالرغم من محدودية إمكانياتها ومحدودية كمية النسخ التي تطبع من كل عدد ومحدودية نطاق التوزيع أيضاً، إلاّ أنها تمكنت من أن تلعب دوراً وطنياً، وان تساهم في إعلام التجمع الوطني، كما استطاعت أن تحرك مياه البركة الساكنة لقضية المرأة، والتي كان يمكن أن تكون تظل في أقبية المسكوت عنه، خاصة في ظل تجاهل إعلامي كبير كما أشرنا، كما أنها نشطت في وقت توقفت فيه الصحف المعارضة عن الصدور، مثل صحيفة الفجر والاتحادي الدولية منذ وقت مبكر، (حيث توقفت الاتحادي الدولية في العام ١٩٩٩م، توقفت الفجر في ٩/ ٥/ ١٩٩٩م بينما استمرت عزة في الصدور حتى بعد أن نضب معين التجمع الوطني وجفّ عطاؤه وعاد إلى داخل السودان في ٢٠٠٥م، ويذكر أن العدد الأخير من عزة صدر في الذكرى الأولى لرحيل الزعيم د. جون قرنق في ٢٠٠٦م.

تناولت الإصدارة عبر أعدادها على مدار سبعة أعوام، كل الأحداث السياسية والمبادرات والمواقف عبر كلمتها الإفتتاحية «ولعزة كلمة» وعبر لقاءاتها وحواراتها مع قيادات التجمع الوطني والنخب السياسية خارج التجمع الوطني، مثل الحوارات مع دكتور خليل إبراهيم رئيس حركة العدل والمساواة، ومبارك الفاضل بعد خروجه من المشاركة في سلطة الإنقاذ، ودكتور على الحاج وآخرين، وعكست هذه اللقاءات الكيفية التي يفكر بها ساسة السودان بسلبياتها وإيجابياتها، وتناولت عزة كل الأحداث والمواقف على لسان صانعيها، وقد بلغ عدد الشخصيات السياسية التي التقتها عزة عبر أعدادها (٤٧) شخصية سياسية.

وفيما يلي نذكر أبرز القضايا السياسية التي تناولتها عزة..

الحل السياسي.... واتفاقيتي الإيقاد والليبية المصرية المشتركة

عندما برز الحل السياسي على السطح في العام ١٩٩٩م ودخلت المبادرة الليبية المصرية المشتركة دائرة الاجتهادات الساعية لحل الأزمة السودانية، وسيطرة فكرة

دمجها مع مبادرة الإيقاد على بعض القوى داخل التجمع الوطني وفي مقدمتها الحزبين الكبيرين- الأمة والاتحادي- أجرت عزة استطلاعات مع عدد من القيادات السياسية بالتجمع الوطني، وذلك لعكس رؤى الفعاليات السياسية في هذه القضايا، وجاء ذلك في «العدد الثالث- نوفمبر ١٩٩٩م».

خروج حزب الأمة من التجمع الوطني

عندما خرج حزب الأمة من التجمع الوطني، أجرت وداد صديق حواراً مطولاً مع الفريق عبد الرحمن سعيد الناطق الرسمي باسم القيادة المشتركة لقوات التجمع الوطني، وعضو هيئة القيادة ورئيس لجنة الحل السياسي في ذلك الوقت، وتناول اللقاء عدداً من القضايا من بينها خروج جيش الأمة وحزب الأمة من التجمع الوطني (العدد السادس- أغسطس ٢٠٠٠م).

الوحدة بين الحركة الشعبية والتحالف

عندما أعلنت الحركة الشعبية وقوات التحالف السودانية قرار إعلان الوحدة بينهما، والذي وقعه في مؤتمر صحفي مشترك الراحل دكتور جون قرنق والعميد عبد العزيز خالد في فبراير ٢٠٠٢م أجرت عزة آنذاك لقاءً مع باقان أموم، تناول بتركيز أساسي موضوع الوحدة في إطار قضايا الحوار المتضمنة في (العدد السابع – مارس ٢٠٠٢م). كما التقت من جانب آخر د. تيسير محمد أحمد حول ذات الموضوع في عددها التالي (الثامن – أغسطس- ٢٠٠٢م).

اتفاق مشاكوس الإطاري

أصدرت عزة عدداً خاصاً باتفاق مشاكوس الإطاري، والتقت عبره الأستاذ فاروق أبو عيسي مساعد رئيس التجمع الوطني للشؤون القانونية، وجاء اللقاء في خمس عشرة صفحة تناولت الاتفاق عرضاً وتحليلاً، بالإضافة لاستطلاع مع قادة الفصائل حول الاتفاق نفسه. كما تناول العدد كلمة السيد محمد عثمان الميرغني رئيس التجمع الوطني في الجلسة الافتتاحية لاجتماع هيئة القيادة، والتي اختصت بمناقشة الاتفاق، بالإضافة لتصريحات بعض السياسيين حول الاتفاق من الحكومة والمعارضة، وجاء كل هذا التوثيق في العددين (الثامن- أغسطس ٢٠٠٢م، التاسع- سبتمبر ٢٠٠٢م).

***

اتفاقية السلام الشامل (نيفاشا)

خصصت عزة ملفاً للسلام (العدد السابع عشر يونيو ٢٠٠٥م) وكان لقاء العدد فيه مع عبد العزيز الحلو القيادي في الحركة الشعبية، كما اهتم الملف بالفصائل التي كانت تحمل السلاح في ذلك الوقت، واستعرض العدد رؤيتهم حول عملية السلام في السودان، وهي التحالف الفيدرالي، مؤتمر البجا، الأسود الحرة، جيش وحركة تحرير السودان (قبل الانشقاقات).

اتفاق جدة واتفاقية القاهرة

عندما فاجأ رئيس التجمع الوطني السيد محمد عثمان الميرغني الساحة السياسية، بتوقيعه اتفاق جدة مع النظام في ٤/ ١٢/ ٢٠٠٣م وكان أعضاء التجمع الوطني الذي يرأسهم سيادته على قائمة الذين باغتهم الحدث. وقد تابعت عزة أصداء الاتفاق، وما آل إليه إلى أن تداعى إلى اتفاقية القاهرة. وتمّ توثيق ذلك في العددين (الخامس عشر- يونيو ٢٠٠٤م، الثامن عشر- نوفمبر ٢٠٠٦م).

قضية دارفور

تناولت عزة قضية دارفور باهتمام كبير وجعلت لها باباً ثابتاً، بدءاً من العدد السادس عشر تحت عنوان (رسالة دارفور) من إعداد إيمان أبو القاسم، كما أجرت عزة عدة لقاءات مع قيادات الحركات المسلحة المختلفة، تناولت القضية بكل أبعادها السياسية والعسكرية والاجتماعية. وذلك في أعدادها التالية:

- العدد الخامس عشر- يونيو ٢٠٠٤- لقاء مع د. خليل إبراهيم رئيس حركة العدل والمساواة.

- العدد السادس عشر- فبراير ٢٠٠٥م رسالة دارفور- مع إيمان أبو القاسم.

- العدد السابع عشر- يونيو ٢٠٠٥م لقاء مع عبد الواحد محمد نور رئيس حركة وجيش تحرير السودان- بالإضافة لرسالة دارفور.

العدد الثامن عشر- نوفمبر ٢٠٠٦م- لقاء مع كل من أحمد أبراهيم دريج رئيس التحالف الفيدرالي، عبد الواحد محمد نور رئيس جيش وحركة تحرير السودان، أحمد عبد الشافي «توبا» حركة تحرير السودان «منشق عن عبد الواحد نور». بالإضافة للصفحة الثابتة (رسالة دارفور) لإيمان أبو القاسم وهي عضو حركة تحرير السودان أيضاً.

لقاءات عزة مع قيادات الأحزاب والتنظيمات السياسية

خلال صدورها في الفترة من العام ١٩٩٩م وحتى العام ٢٠٠٦م التقت عزة بعدد كبير من قيادات الأحزاب والتنظيمات السياسية المعارضة، وستتناول هذه اللقاءات تفصيلاً في كتاب آخر نعمل فيه على تجميع تلك اللقاءات، ويلقي الضوء على فترة مهمة في تاريخ السياسة السودانية، ويعكس الكيفية التي كان يفكر بها أولئك الساسة والتناقض بين أقوالهم وأفعالهم، وسنكتفي في هذا الفصل بأسماء القيادات السياسية الذين التقتهم عزة خلال تلك الفترة حسب ترتيب الأعداد:

١- السيد الصادق المهدي- حزب الأمة القومي.

٢- العميد عبد العزيز خالد- قوات التحالف السودانية.

٣- الأستاذ غازي سليمان- تنظيم حركة (جاد).

٤- الأستاذة محاسن عبد العال- التجمع النسائي.

٥- الفريق عبد الرحمن سعيد- القيادة الشرعية .

٦- د. عمر نور الدائم- حزب الأمة.

٧- الأستاذ إسماعيل سليمان- الحزب الشيوعي.

٨- القائد باقان أموم- الحركة الشعبية.

٩- الأستاذ التجاني الطيب- الحزب الشيوعي.

١٠- بروفسير تيسير محمد أحمد- قوات التحالف.

١١- الأستاذ محمد سيد أحمد عتيق- حزب البعث.

١٢- الشيخ عمر محمد طاهر- مؤتمر البجا.

١٣- د. ماجدة محمد أحمد- شخصية وطنية.

١٤- الأستاذة سعاد الطيب حسن- حزب الأمة.

١٥- القائد عبد العزيز الحلو- الحركة الشعبية.

١٦- د. خليل إبراهيم- حركة العدل والمساواة.

١٧- باشمهندس هاشم محمد أحمد- النقابات.

١٨- الأستاذة فاطمة أحمد إبراهيم- الحزب الشيوعي.

١٩- د. الشفيع خضر- الحزب الشيوعي.

٢٠- د. أمنة ضرار- جبهة الشرق.

٢١- القائد موسى محمد أحمد- جبهة الشرق.

٢٢- القائد ياسر جعفر- الحركة الشعبية.

٢٣- القائد عبد الواحد محمد أحمد النور- حركة تحرير السودان.

٢٤- الأستاذ محمد أحمد دريج- التحالف الفيدرالي.

٢٥- د. منصور خالد- الحركة الشعبية.

٢٦- القائد أحمد عبد الشافع «توبا»- حركة تحرير السودان.

٢٧- الأستاذ هاشم بدر الدين- الحركة الشعبية.

٢٨- الأستاذ حاتم السر- الحزب الاتحادي الديمقراطي.

٢٩- الأستاذة سميرة إدريس- مؤتمر البجا.

٣٠- د. علي الحاج- المؤتمر الشعبي.

٣١- الأستاذ مبارك الفاضل المهدي- حزب الأمة الإصلاح والتجديد.

٣٢- السيدة ربيكا قرنق- الحركة الشعبية.

٣٣- د. شريف حرير- التحالف الفيدرالي.

٣٤- د. أبوبكر بشير- حزب المؤتمر السوداني.

٣٥- الأستاذ التوم هجو- الحزب الاتحادي الديمقراطي.

٣٦- الأستاذ محمد سليم كيم- الحزب القومي السوداني.

٣٧- الأستاذ نصر الدين عبد الله- حزب المؤتمر السوداني.

٣٨- د. جوزيف أكيلو- اليوساب.

٣٩- القائد/ بيتر وال- الحركة الشعبية.

٤٠- بروفسير أبو القاسم سيف الدين- الحركة الشعبية.

٤٠- الأستاذ أحمد صلاح- الأسود الحرة.

٤٠- أستاذ فكي على محمد – مؤتمر البجا.

٤٣- القائد مالك عقار- الحركة الشعبية.

٤٤- الأستاذ محجوب أبو عنجة- الحزب القومي.

٤٥- د. باسيفيكو لادو لوليك- اليوساب.

٤٦- الأستاذ/ أبو بكر كادو- التحالف الفيدرالي.

٤٧- دكتور جون قرنق دي ميبور في تصريح صحفي قصير.

* شملت هذه اللقاءات- لقاء العدد واستطلاعات الرأي في قضايا معينة، تضمنها ثمانية عشر عدداً في الفترة من ١٩٩٩- ٢٠٠٦م.

هذا بالإضافة للعديد من الحوارات مع منظمات المجتمع المدني مثل اللقاءات التي أجرتها نادية مصطفي مع (لول قبراب) رئيسة اتحاد المرأة الإريترية ومنى عوض خوجلي (منظمة المجموعة الأفريقية العالمية)، وإحسان عبد العزيز مع (هالة عبد اللطيف) رئيسة إتحاد الشباب الإفريقي بأوربا، ولقاءات مع زوجات قيادات سياسية عن تجاربهن مثل لقاء نادية مصطفي مع السيدة/ فاطمة على محمد حرم د.عمر نور الدائم، ولقاء وداد صديق مع سعاد عبد العاطى حرم العميد عبد العزيز خالد وغيرها من اللقاءات مع عدد من الناشطين والناشطات والتي نعمل الآن على تجميعها في كتاب آخر سيصدر عما قريب بإذن الله.